

فضل التعلم والتعليم وسبل تحقيقها-2

إخوة الإيمان:

الحمد لله على فضله وإحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه، أما بعد:

إخوة الإسلام: تحدثنا في الجمعة الماضية عن فضل العلم والتعليم، ولا زال الحديث متواصلًا عن العلم والتعليم، وأول خطوات التعليم في الإسلام تهيئة القلب، وتأديته بأدب النبوة، في الأمانة والصدق والاستقامة والعدل والإخلاص وصلاح الظاهر وظهارة السريرة، إلى غير ذلك من المثل العليا، والمناهج، لأن التصوص مما كانت سامية لا يكون لها تأثيرٌ فعال إلا إذا تحوّلت إلى واقع متحرّك وترجمة عملية في التصرفات والسلوك والمشاعر والأفكار، فحاجتنا إليها المسلمون إلى القلوب العامرة بالإيمان ليست دون حاجتنا إلى الرؤوس المشحونة بالمعلومات الفارغة، يُخطئ كثيرًا من يحصر التعليم في تكثيف المناهج وحشو المعلومات، ومع أهميته ذلك إلا أن تقدّم الأمم يُقاس بقدر التزامها بالقيم وتشبّعها بالمبادئ وتمثّلها بالأخلاق،

إن أئمة حضارة وأمة لا تقوم مؤسّساتها التعليمية على التربية الرشيدة واقفًا وعمليًا وسلوكًا واقفًا في محاضن التربية والتعليم لا يمكن أن تسير طويلاً مهما ارتفعت وتفتتت في الوسائل والتقنية، والذي يُعيق الأسي ويُفجر الحزنَ تتبّع بعض أبناء المسلمين جحر الضبّ الذي نُهينا عنه، وعدم الاعتبار بمآسي التعليم المادي الذي لم يُصبغ بنور الإيمان وهداية القرآن، وواقع الأمة يقتضي تغذية المناهجة وتحصين الأجيال حذرًا من أخطار محدقة بالعقيدة والفكر والسلوك، وهذا يتطلب من القائمين على التربية والتعليم تقييم مسارنا التربوي لصناعة الشخصية المسلمة السوية، والإهمال في تقويم السلوك أعظم خطرًا وأشد فتكًا من الإهمال في تقويم المعارف والعلوم؛ ذلك أن السلوك المنحرف يتجاوز ضرره الفرد إلى المجتمع ككلّه،

هذه أمّ مسلمة ومرتبّة واعية، تجلّي لابنها وللأجيال الهدف من التعليم وقيمة التربية، تقول أمّ سفيان الثوريّ الذي غدا في عصره علمًا وبين أقرانه نجمًا ساطعًا: يا بني: خذ هذه عشرة دراهم، وتعلّم عشرة أحاديث، فإذا وجدت ثغورًا في جليستك ومشيئتك وكلامك مع الناس فأقبل عليه، وأنا أعينك بمغزلي هذا، وإلا فاتركه، فإني أخشى أن يكون وبالاً عليك يوم القيامة، هذه المرأة المسلمة تؤسّس في التربية والتعليم قاعدة كبرى: لا نفع للعلم دون عمل، ولا قيمة له دون أثرٍ في السلوك، نعم، إن الأمة العظيمة وراءها تربية عظيمة،

إخوة الإسلام: أساس التربية والتعليم القرآن الكريم تفسيرًا وفهمًا وتجويدًا وحفظًا، فهو التبع الذي لا ينضب أي لا حد لكرمه وعطائه، والسعادة التي لا حد لها، والعزّ المشيد والراقي الحميد، لم ترفع الأمة رأسًا إلا بالقرآن، ولم تنل العزة والمنعة إلا بتطبيق أحكامه، وحرّيّ بأمة الإسلام أن ترفع شأن القرآن في مناهجها، وتعلّي قدره ومقداره، تنتخب له أكفأ المعلمين وأفضل الأوقات، لا يتصوّر أن تكون مادة القرآن جافة جامدة لا روح فيها ولا أثر لها في الفكر والسلوك والأخلاق، والأدهى أن نشهد ضعفًا عامًا في القراءة والتلاوة، فضلًا عن الفهم والتدبر، عن عبد الله بن مسعود قال: كان الرجل متى إذا تعلّم عشر آياتٍ لم يجاوزهنّ حتى يعرف معانيهن والعمل بهنّ، وقال الحسن البصريّ: والله، ما تدبّره من حفظ حروفه وأصابع حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن كله ولم ير للقرآن عليه في خلقٍ ولا عمل،

وقال عبد الله بن مسعود: والذي نفسي بيده، إن حق تلاوته أن يجلّ حلاله ويجرم حرامه ويقراء كما أنزله الله، وهنا نريد من طلاب العلم أن يزنوا حالهم على ضوء هذه التصوص؛ أين موقعهم من فهم القرآن؟ وما هو حظهم من هدايته؟! ما أجمل أن تُربط كل العلوم في الإسلام بالقرآن الكريم، لتعيش الأجيال قلبًا وقلبا مع القرآن وقربًا منه في كلّ منهج شرعي أو علمي، قال تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصَبَّحَ الْأَرْضَ مُخْضرةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ [الحج]

وفيها إشارة إلى علم الفلك والخلق البدع، وقال تعالى: فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَمْرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا [فاطر] وفيها إشارة إلى علم النبات شكلًا ولونًا وحجمًا، وقال عز وجل: وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبُ سُودٌ [فاطر] وفيها إشارة إلى علم طبقات الأرض وما يتصل به، وهذا تُغذي المناهج على مختلف تخصصاتها القلوب بعظمة الله وخشيته وإجلاله في كل وقتٍ وحينٍ وساعة، قال تعالى: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَقَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ [فصلت]

إخوة الإسلام: التعليم في الإسلام يجعل للمرأة تميّزًا في المناهج، يتلاءم مع فطرتها وأنوثتها ووظيفتها، قال تعالى: وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ [آل عمران]

فإعداد الفتناء ليس كأعداد الفتى، المرأة لم تعد لتصارع الرجل في المصنع والمتجر، ولتكون كادحة ناصبة، إعدادها بما يناسب طبيعتها ولينسجم مع وظيفتها، إعدادها لتكون زوجة تجعل بيت الزوجية جنة وارفة الضلال، تنقيًا ظلالمها أسرة سعيدة، وأما تغديق حنانها على أطفالها وتحسين تربية أولادها، وأي خدمة

للأمة والوطن أجلُّ وأعظمُ من صنع الرجالِ وتربيةِ الأجيالِ؟! فهذه هي الثروة الحقيقية للأمة، تجاهلت بعض المجتمعات طبيعة المرأة، وتناست الفرق بين تركيبها وتركيب الرجل، فأودى بها ذلك في مهاوي التفكك والانحيار، نزلت المرأة إلى ميادين الرجل، زاحمته في ميادين العمل، تخلت عن تربية الأطفال، غفلت عن أنوثتها، ففسد المجتمع، وفسد المنزل، وتشرّد الأطفال، وضاع الزوج، وتفككت عرى الأسرة، وساءت الأحوال، وفي هذا يقول ربنا تبارك وتعالى: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا [الأحزاب].

خطبة الجمعة ليوم 30 غشت 2024 م